

الترجمة الأدبية وحوار الثقافات

عبد الحليم فاروق العيدي

كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، Farukt68@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019/09/29

تاريخ المراجعة: 2019/07/18

تاريخ الإيداع: 2019/02/19

ملخص

إن الباحث في الفكر المتعلق بحوار الثقافات يجد في الترجمة أداة راقية للتواصل وآلية من آليات الانفتاح وتلقي الآخر وإرساء مبادئ التعايش بين الحضارات، لأنها وسيلة لإيصال المعرفة ونقلها إلى الآخر ونشاط يخدم العالمية والتبادل بين مختلف الثقافات والحضارات، وإحدى وسائل التجديد اللغوي والتواصل الثقافي والأدبي والفكري. ومنه، عدت علاقة ترجمة الأدب بحوار الثقافات من أهم انشغالات المفكرين لأن الأدب مرآة للخصائص الاجتماعية والحضارية لمختلف الشعوب لما تحمله في ثناياها من مميزات لغوية وثقافية، لا يمكن التعرف عليها إلا بعملية الترجمة.

الكلمات المفاتيح: أدب، مميزات ثقافية، ترجمة، حوار وتبادل ثقافات.

*Traduction littéraire et dialogue des cultures***Résumé**

Tout chercheur soucieux de la pensée liée au dialogue des cultures trouve en la traduction le moyen de communication contribuant à l'ouverture et à la réception de l'autre et l'institution du principe de coexistence des civilisations. Elle est un moyen de transfert du savoir et une activité au service de l'universalité permettant le renouveau linguistique et la communication culturelle, littéraire et intellectuelle. La relation traduction littéraire et le dialogue des cultures est l'une des préoccupations des penseurs, car les caractéristiques socioculturelles véhiculées par les textes littéraires ne sauraient être transmis à l'autre qu'à travers la traduction.

Mots-clés: Littérature, caractéristiques culturelles, traduction, dialogue des cultures.

*Literary Translation and intercultural dialogue***Abstract**

Any researcher interested in cultural communication issues finds that translation is the best to implement an intercultural dialogue contributing to the opening, the reception of the other and the institution of coexistence principles between civilizations. Translation is a means of knowledge transfer, and an activity at the service of universality allowing linguistic renewal and cultural, literary and intellectual communication. The relationship between literary translation and cultures' dialogue is one of thinkers' concerns, because socio-cultural characteristics conveyed by literary texts are actually transferred to other thanks to translation.

Keywords: Literature, Cultural characteristics, Translation, Dialogue between cultures.

مقدمة

إن الترجمة باعتبارها وسيلة إيصال المعرفة وانتقالها من الذات إلى الآخر، نشاط فكري يخدم الحداثة والعالمية لأنه إفصاح وبيان للذات وحوار وتفاعل مع الآخر، وإحدى وسائل التجديد اللغوي والتواصل الثقافي والأدبي والفكري. وهي بهذا مرجعية كبرى للحوار والاعتراف بالآخر ونقطة التقاء الثقافات والحضارات. وقد أثبت تاريخ الترجمة أنها قد ساهمت عبر القرون بشكل فعّال في فتح آفاق لتتوير الدول ونهضتها في جميع أنحاء العالم. لقد أصبحت علاقة ترجمة الأدب بحوار الثقافات من أهم انشغالات الفكر المعاصر، وأضحت ترجمة النصوص الأدبية لما تحمل في ثناياها من مكونات ثقافية مميزة من الحقائق التي تؤكد دورها في مد جسور الحوار بين الثقافات وإنعاشها لمفهوم الغيرية من خلال التركيز على مبدأ الاختلاف وخلفية التعايش والتعارف بين الثقافات.

سنتناول بالدراسة في هذا المقال مفهوم النص الأدبي ومميزاته الشكلية والإبداعية، وكذا خصائص ترجمته بأبعادها وإشكالاتها.

النص الأدبي: خصائصه ومميزاته

الأدب هو نوع من أنواع التعبير الراقى عن المشاعر الإنسانية التي تجول بخاطر الكاتب، والتعبير عن أفكاره وآرائه وخبرته الإنسانية في الحياة من خلال الكتابة سواء كانت كتابة نثرية أو شعرية أو غيرها من أشكال التعبير المتاحة للأديب للتعبير عن مشاعره وما يجول بخاطره. ويعد من أهم الفنون ومن أوسعها انتشارا لارتباطه بالإنسان والحياة. وهو حسب تعريف <<المعجم المفصل في الأدب>> للدكتور محمد التونجي: <<ما عبر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل>>، أو <<هو الكلام الذي ينقل إلى السامع أو القارئ التجارب والانفعالات النفسية التي يشعر بها المتكلم أو المنتج>>⁽¹⁾.

والنص الأدبي كلام متعدد المستويات والخصائص الفنية، يؤدي فضلا، عن وظيفته المعرفية والتبليغية، وظيفة نفسية تتمثل في التأثير في المتلقي من خلال تحريك انفعالاته وزيادة عنصر التشويق لديه عبر الصور الفنية التي تضيف على النص شعرية وتمنحه القدرة على التأثير⁽²⁾. و<<قد تشمل النصوص الأدبية عدة وظائف أهمها الوظيفة التعبيرية والوظيفة الجمالية لأنهما إحدى أسس الكتابة الأدبية، وأحيانا تكون لها وظيفة تبليغية>>⁽³⁾.

وتظل الترجمة الأدبية الفرع الأكثر أهمية في مد جسور التعارف بين الثقافات والأمم وفي زيادة الوعي والتفاهم والتوافق بينها. كما تعد وسيلة للتجديد اللغوي والثقافي وعملا في تفعيل التبادل المعرفي والحوار بين الثقافات. في حين، يتطلب الاهتمام المتزايد بأدب اللغات الأخرى مراعاة المشاكل الجدية للترجمة الأدبية، لأنها تقرض علي المترجم التعامل مع نص يتضمن عناصر لغوية وثقافية تعكس خيال المؤلف وفكره (أيديولوجيته)، ونقله من سياق إلى سياق آخر ومن بيئة إلى بيئة مغايرة.

وقد حدد جمال محمد جابر في كتابه <<منهجية الترجمة الأدبية>>⁽⁴⁾ الخصائص التي تميز النص الأدبي عن غيره، في:

أ- سيطرة الوظيفة التعبيرية: وهي وظيفة تتكفل بالتعبير عن أفكار المبدع ووصف عواطفه التي تعكس كل ما بصدرة من مشاعر وأحاسيس تلون ألفاظه وعباراته، واستخدام اللغة وفقا لقدراته التعبيرية لنقل موقفه والإقناع به.

ب- القدرة الإيحائية: وذلك عبر الدلالات الهامشية لغرض تحقيق المتعة الفنية في النص الأدبي، والتأثير في المخاطبين.

ج- أهمية الشكل:

الشكل وسيلة لإحداث البعد الجمالي، ويقصد به استعمال المؤلف للغة استخداما خاصا للتعبير وإبراز رسالة الأثر الأدبي بالهيئة التي قصد المؤلف أن تكون عليها بغية إثارة العواطف والانفعالات فضلا عن وظيفة إبلاغ الحقائق.

د- تعدد المعاني والقابلية لتعددية التأويل:

تتعدد تأويلات النص بتعدد قرائه لوجود التأويل المجازي، وهو أحد مظاهر التباين بين النص الأدبي وغيره من النصوص.

هـ- تجاوز النص حدود الزمان والمكان:

أي أن قيمة النص الأدبي بوصفه أثرا أدبيا لا تتأثر كثيرا بتغير الزمان والمكان وهو كذلك مرآة لهما.

و- نقل القيم الإنسانية:

تناول الأدب في كل زمان ومكان المواضيع الثابتة المتعلقة بالقيم الإنسانية كالحب والخير والصدقة والإيمان والتضحية والحرية والحياة وتناقلتها الأجيال باعتبارها قيما لا تبلى.

أما الترجمة الأدبية فهي فرع من فروع الترجمة وتعنى بترجمة الأدب بأنواعه المختلفة كالشعر والرواية والمسرح وما إلى ذلك، وتقتضي نقل النصوص الأدبية من شفرة لغوية إلى أخرى وذلك ابتغاء نقل المعنى الذي قد يكون إما إحاليا محضا référentielle: بمعنى إحالة القارئ إلى نفس دلالة الألفاظ التي يريد المؤلف أو صاحب النص التعبير عنها، وإما أدبيا فيتضمن عناصر بلاغية وبنائية وفنية متجاوزا بذلك إلى المغزى signification وإلى التأثير l'effet المقترض أن يعترم المؤلف إحداثه في نفس القارئ⁽⁵⁾.

وبالنظر إلى خصوصيتها المنبثقة من طبيعة النص الأدبي ولغته، تعد أصعب الترجمات مراسا لأنها تتميز بإشكالية مركبة عسيرة الإدراك ومتعددة المشارب تحكمها مجموعة من الشروط: إبداعية، وجمالية، وأسلوبية، ولسانية وغير لسانية مما حدا ببعض المنظرين إلى مد أفق الترجمة إلى شعرية ترجمة تفترض نظرية للأدبية تربط ذاتية المترجم بترجمة الأثر وليس الإجراء ليصبح المترجم كاتباً شريكاً co-auteur أو كاتباً معيداً réécrivain⁽⁶⁾.

ويجعل الاختلاف بين لغة النص الأصل والنص الهدف من المترجم مبدعا ثانيا لأن الأمر يتطلب منه جهدا أشق من الجهد الذي يبذل في التأليف، ذلك أن المترجم يكون محصورا في كلام المؤلف ومعانيه وليست له الحرية في اختيار الأفكار والمعاني التي تحلو له⁽⁷⁾. فلن يتسنى له العمل إلا في ظل معالم نفسية محددة يفرضها عليه النص المصدر الذي يجب أن يتحسس تفاصيله ويحافظ على أصالته دون تشويه. وفي كون المترجم قارئاً ومعيدا لكتابة النص، فهو يتبوأ مهمة مزدوجة تتمثل في إدراك شحنة المعاني ضمن ثقافة النص الأصل ولغته ونقل الشحنة نفسها من خلال مادة لغوية مناسبة لقراء النص الهدف⁽⁸⁾.

ولأجل ذلك، وجب عليه مد جسور الحوار بينه وبين النص الأصل وصاحبه دون إهمال المتلقي حتى ترسم أمامه أهداف النص، الترجمة والمتلقي. كما هو مطالب بإعادة إنتاج عمل فني يعادل الأصل شكلا ومضمونا والحرص على خلق أثر كفيلا بإثارة رد فعل عاطفي وانفعال جمالي يماثل إلى حد ما ذلك الذي يخلفه النص الأصل.

تقول جوئيل رضوان (Joelle Redouane) في هذا السياق:

«La traduction littéraire doit rendre compte avant tout d'une création originale régie par des critères esthétiques et non plus seulement fonctionnels ou purement linguistiques»⁽⁹⁾.

ومفاد قولها أن صعوبة الترجمة الأدبية لا تتجلى في البعد اللغوي فحسب، بل في البعد الجمالي والفني للنص. وتكون الترجمة في النصوص الأدبية أصعب منها في العلمية أو الإخبارية لأن العمل الأدبي ليس فكرة أو خبرا محمولا فحسب وإنما تجربة إنسانية تحمل في طياتها أحاسيس وعواطف وتصورات مختلفة تعكس الإرث التاريخي والشحنة الثقافية الكامنين في مكوناتها التي لا يمكن إهمالها بأي شكل من الأشكال.

لذا وجب على المترجم حينما يتعامل مع النص الأدبي أن يحرص على إعادة تشكيل المكافئ الطبيعي الأقرب لرسالة لغة المتن، في لغة المتلقي للترجمة أولا من ناحية المعنى وثانيا من ناحية الأسلوب⁽¹⁰⁾.

يقول لاندريس Landers >> لا يلقى الأسلوب في الترجمة الفنية على سبيل المثال اهتماما كبيرا طالما تجد المعلومة طريقها دون تغيير من النص الأصل إلى النص الهدف [...] أما في الترجمة الأدبية [...] فيمكن للأسلوب أن يميز بين ترجمة حية تشد إليها القراء، وترجمة عرجاء جامدة ومصطنعة تُجرّد الأصل من جوهره الفني الجمالي وحتى روحه»⁽¹¹⁾. وهي تستوجب المحافظة على أسلوب النص الأصل أي الكلمات التي يختارها الكاتب أو الطريقة التي يبني بها تراكيبه. وأن تعكس جميع السمات الأدبية للنص المصدر مثل الآثار الصوتية واختيار الكلمات والصور البيانية... الخ⁽¹²⁾ فالشكل في النصوص الأدبية حسب إنعام بيوض >> ليست له وظيفة ترابضية فقط، بل وظيفة جمالية أيضا (...) إذ لا يكفي تحقيق التطابق اللساني بين العمل الأدبي وترجمته، بل يجب تحقيق التطابق الفني أيضا >>⁽¹³⁾. وتضيف قائلة إن >> طبيعة عملية الترجمة (الأدبية) هي نقل يحدده المحتوى والشكل، المحتوى الذي يتشكل من المعاني، والشكل الذي يحدده الأسلوب»⁽¹⁴⁾.

ولعل خصوصية الأسلوب وظاهرة الغموض المتواجد في ثنايا الرموز والإيحاء هما أهم ما يميز النصوص الأدبية، فالرمزية والإيحاء من أكبر خصائص الخيال الأدبي، وهي بذلك تشكل أكبر مشكلة قد يواجهها المترجم فتجبره على بذل جهد تأويلي مضاعف ليتمكن من معانيه.

«Quand on dit que la traduction est impossible neuf fois sur dix on pense à ces connotations qui mettent en cause, non seulement la possibilité de transfert de civilisation, de "vision du monde" à "vision du monde", de la langue à la langue, mais, finalement, d'individu à individu même à l'intérieur d'une civilisation, d'une vision de monde d'une langue qui leur sont communes»⁽¹⁵⁾.

ويعني ذلك أننا إذا سلّمنا باستحالة الترجمة، يقودنا الأمر تسع مرات من عشر إلى التفكير في الإيحاءات التي تقف حجر عثرة أمام نقل حضارة من " نظرة إلى العالم " إلى نظرة أخرى، من لغة إلى أخرى، بل حتى بين أفراد تجمعهم نفس الحضارة ولهم "النظرة إلى العالم" نفسها.

فمعاني النص الأدبي لا تتجلى بوضوح إلا لقارئ متمرس مسك بزمام خصائص الإبداع الأدبي. وأن المترجم مطالب بفهم النص وسبر أغواره مستعملا في ذلك كفاءته اللغوية، الموسوعية وحتى النقدية ليتمكن من تأويل معانيه واكتشاف نظامه وخصائصه. فالنص الأدبي حسب جوئيل رضوان (Joelle Redouane) يتضمن المعاني المصرّح بها والمعاني الضمنية ومقاصد الكلام.

«Le texte littéraire (...) recouvre à la fois ce qui est dit, le vouloir dire (...) et le non dit»⁽¹⁶⁾.

لقد أدرك المنظرون أن الترجمة الأدبية أصعب الترجمات مراسا، ولذلك >> كان المترجمون الأكفاء في بداية ق 20 في أغلب الأحيان أنفسهم أدباء»⁽¹⁷⁾، وأكد محمد عوض في كتابه >>فن الترجمة» : >> أن أول شرط يتبادر إلى أذهاننا أن يكون المترجم المنتج للأثر الأدبي الذي يحاكي الأثر المترجم، هو نفسه أدبيا راسخ القدم في

التأليف الأدبي ولا يكفي أن يكون ملماً أحسن إمام باللغتين، فالأدب روح واستعداد وسليقة وهذه أشياء لا تستند إلى طبع في النفس ولا تُكتسب» (18).

ومعناه أن يكون المترجم أديبا ملماً بالأدب وقواعده ومدارسه وفنونه، وأن يكون متذوقا له، يتحلى بحس أدبي وذوق فني، يحمل شعور الأديب وفكره، فإن لم يكن كذلك، فأقله أن يكون متذوقا للأدب محبا لفنونه إذا لم تتيسر له ممارسة الأدب إنتاجا، ليستطيع التعامل مع أفكار الأديب ومشاعره وأحاسيسه ويتمكن من نقل أفكاره وتوصيل مشاعره وتصوير أحاسيسه ورصد انفعالاته بكل دقة وصدق، إذ يحتوي كل أثر أدبي على معنى تحتي لا يتطابق مع المعنى المادي أو اللغوي، لا يمكن لسواه أن يحدث في أنفسنا الأثر الجمالي الذي أراده المؤلف، وهذا المعنى في حقيقة الأمر هو الأجدر بالنقل. فالترجمة الأدبية ليست أن نجيد نقل الكلمات ولكن أن نتمكن حقا من نقل المشاعر والروح التي فيها وكذا الأحاسيس والمشاعر التي تختلج صدور الأدباء، «لا تتوقف حاجة المترجم خلال عملية ترجمة النصوص إلى كفاءة لغوية في كلتا اللغتين المنقول منها والمنقول إليها فحسب، بل تتعداهما إلى معرفة كلتا الثقافتين وتقاليد التعبير فيهما» (19).

وضمن هذا الأفق، يطرح النص الأدبي باعتبار انبثائه اللغوي الخاص إشكالية تفعيل الترجمة المناسبة التي تتطلب كفاءة واندماج في اللغة الأصل واللغة الهدف وثقافتهما قصد الإبقاء على كيانه المتميز وأصالته.

3. الثقافة والترجمة الأدبية

لم تكن للإنسان ثقافة إلا عندما عرف كيف يشير إلى الأشياء التي تحيط به، وارتبط ظهور الثقافات المتعددة بظهور العلامات أو الرموز التي تكوّن نظام اللغة، فإن العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافي لا تعني شيئا أكثر من أن لغة أساسا ثقافيا [...] كما أنها نوع من السلوك الاجتماعي مثل أي ظاهرة اجتماعية أخرى تتكون ضمن إطار ثقافة ما (20). وهي من أهم مكونات الثقافة ومظهر من مظاهرها والوعاء الذي يستوعب كل السمات والعناصر المختلفة لثقافة المتكلمين بها. إنها >> أساسا نظام عبارتي يحمل حركة فكرية ومعرفية وفلسفية وإدراكا وتحولات ثورية، علاوة عن كونها خزنة الماضي المتحرك لأمة معينة» (21) و«اللغة هي الوسيلة الرئيسية التي تقوم عليها حياتنا الاجتماعية [...] وأن المفردات التي يستعملها الأفراد تجد مرجعيتها في الخبرات المشتركة» (22).

فإذا كانت اللغة الوسيلة الرئيسية التي يتعامل بها أفراد المجتمع والوعاء الذي يحمل كل خبرات الجماعة وتجاربها من خلال ألفاظها وتعابيرها، فلا يمكننا فهم هذه الألفاظ والتعابير إلا بمعرفة تلك الثقافة (23). الشيء الذي جعل إدوارد سايبر يعتبر اللغة السبيل للتعرف على واقع المجتمعات، وأنها الدليل لدراسة ثقافة معينة دراسة علمية لأنها أساسا نتاج ثقافي أو اجتماعي. وعليه، تصبح اللغة وسيلة للتعبير عن نظرة الإنسان للعالم المحيط به ومحددة لخبراته (24).

فباللغة تفرض على المتكلم نظرة للعالم تجعل الثقافة والفكر يختلفان باختلاف اللغة، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على وجود علاقة تأثر وتأثير بين اللغة والفكر. ويرى العالم الروسي يوري لوتمن Juri Lotman بدوره أن اللغة هي بمثابة القلب النابض في كيان الثقافة، إذ يقول:

<<No language can exist unless it is steeped in the context of culture, and no culture can exist which does not have at its center, the structure of natural language>> (25).

ومفاد قوله أنه لا وجود للغة ما لم تمتد جذورها في السياق الثقافي، ولا وجود لثقافة لا تحمل في عمقها تراسيم لغة طبيعية.

يعد الأدب بصفته شكلا من أشكال الإبداع البشري، مرآة للمعطيات الاجتماعية والحضارية والثقافية لمختلف الشعوب لما تحمله النصوص في ثناياها من مميزات لغوية وثقافية تجعل الترجمة لا تقبل الانحصار في نظرية لغوية ضيقة لا ترى فيها إلا مجرد نقل للمعنى تحتويه مجموعة من الرموز اللغوية. فالعمل الترجمي يتطلب بالإضافة إلى اللغة، جملة من المعايير غير اللسانية تتصل أساسا بالواقع الاجتماعي والثقافي ارتسمت من خلالها في الأفق صورة تكشف مدى صعوبة أو عدم قابلية المميزات الثقافية للترجمة المتصلة بمفهوم التبادل بين الثقافات انطلاقا من وجهة نظر مونادية (Whorf Sapir) Monadique. غير أن النشاط الترجمي عمل أكدته الحاجة وبرهنت عليه الممارسة عبر التاريخ تعززت بموجبه النظرة الكونية Universelle بوصفها بديلا نتج عن أحدث التطورات التي شهدتها الدرس الترجمي، خاصة من خلال تغلغل البعد الثقافي باعتباره عنصرا فعّالا في العملية الترجمية.

فالمدرسة الألمانية على سبيل المثال ترى أن الترجمة الأدبية هي جزء لا يتجزأ من اللغة الأدبية وهي بالتالي نشاط ثقافي يعمل على إثراء وتقوية الإرث الثقافي⁽²⁶⁾. وفي السياق نفسه، أشار نايدا Nida إلى أن الاختلاف الجذري بين اللغات والثقافات قد يعيق عملية إعادة كتابة وبشكل ملائم، نص كتب في لغة الأصل، إلا أنه اعتبر << ما يربط الجنس البشري هو أكبر مما يفرق بينهم >>⁽²⁷⁾ لتتكون بالتالي قاعدة للتواصل حتى بين الثقافات المختلفة. وقد كان ياكوبس Jakobson سبّاقا في التطرق لهذا الموضوع معتبرا أن كل خبرات الإنسان قابلة للانتقال بين مختلف الثقافات. كما اعتبر الفيلسوف الإسباني أورتيغا Ortega أن «الصعوبة والمشقة التي تكثف نشاط الترجمة لا تمنع ممارستها، بل تعد تأكيدا وإشادة برونقها»⁽²⁸⁾.

ويصرّ الكثير من الباحثين على العنصر الثقافي لأنه يرسخ الخصوصيات التي تصبح معه الترجمة أمام موضوع معقد لا يكفي فيه حضور الجهاز اللغوي بمعزل عن الجهاز السوسيوثقافي لأن الترجمة نقطة التقاء بين الثقافات أو تواصل ثقافي، ذلك لأنها تتلازم وسياس ثقافي يحتم إضافة الأفق غير اللساني إلى نظرية الترجمة. ومن هنا، وجب الانطلاق من مقولة لغة_ ثقافة بدل مقولة لغة، لأنه لا وجود للغة خارج السياق الثقافي⁽²⁹⁾.

وبدخول العنصر الثقافي في الترجمة، أصبح المعنى يعرف بمقتضى قوله الثقافية والسياقية، والترجمة بعملية تأويلية تعنى بإعادة صياغة ونقل نظرة إلى العالم خاصة بشعب أو أمة إلى نظرة أخرى خاصة بشعب أو أمة مغايرة.

وشكّل هذا التوجه أبرز تحول شهده الدرس الترجمي تزامنا مع نشر كتاب «الترجمة التاريخ والثقافة» لسوزان باسنت وأندري لوفافر سنة 1990 وعُرف بـ "المنعرج الثقافي" Le Virage culturel، ومن أهم ما ميز هذا المنحى تجاوز الدرس الترجمي النظريات اللغوية بسبب محدوديتها، وتحول مركز الاهتمام إلى ما وراء اللغة نحو النص بصفته وحدة تتصل به جوانب غير لسانية أهمها الجانب الثقافي والسياسي. وتتم ضمن هذا المنظور عملية تحليل الترجمة مع النظر في العلاقة بين اللغة والثقافة، وكذا كيفية تأثير هذه الأخيرة في الترجمة.

في ظل هذا المفهوم، صارت مظاهر الاختلاف تتجاوز النصوص مثيرة النقاش حول موضوع الهوية الثقافية واحترام الآخر الذي لم ينظر إليه إلا من خلال مرجعية ومفاهيم الثقافة المستقبلية. وبيروز مفهوم ترجمة "الآخر" أو "الغريبة"، خاصة في سياق العولمة والتحويلات الاجتماعية الكبرى التي شهدتها العالم بأسره، ظهرت إلى الوجود مسائل أخرى مثل السياسة الترجمية والأخلاق والأيدولوجية لتضاف إلى سجل الترجمة الحافل بالعقبات.

كان جل المترجمين على دراية بالمشاكل المتنوعة التي تطرحها الفروقات اللغوية والثقافية، غير أنهم ما انتهوا عن ممارستها رغم كل المعوقات، يقينا منهم أنه لا يمكن لأي ثقافة أن تقوم بمعزل عن غيرها من الثقافات⁽³⁰⁾. أما من الجانب العملي، فيبرز الإشكال المتعلق بالبعد الثقافي خلال العملية الترجمية في كيفية نقل الخصائص الثقافية إلى النص المترجم من حيث انصهارها في الثقافة المستقبلية أو تمسكها بالأصل. فلم يثبت المنظرون في ميدان الترجمة على رأي واحد، وانقسموا إلى فريقين منهم من يعطي الأولوية للنص الهدف بمميزاته اللغوية والثقافية، ومنهم من يعطي الأولوية للنص الأصل كذلك بمميزاته اللغوية والثقافية.

3- الترجمة وحوار الثقافات

لم يشهد التاريخ يوما قيام حضارة أو ثقافة أمة ما بمعزل عن الحضارات أو الثقافات الأخرى، ذلك أن تزواج الثقافات هو الذي ينمي كل ثقافة ويثريها، فإذا تفوقعت ثقافة على نفسها كان مثلها كمثل الأسرة تقتصر في التصاهر على الأقرباء فحسب فيضعف فيها النسل وتتركها الآفات والعلل فتعقم وبصبيها الشلل والجمود. وتتزوج ثقافة بلد ما بثقافة أجنبية عنها إما عن طريق الوفاة، أو عن طريق الاجتلاب. والوفاة تحدث بالغزو أو بالتحاور والتبادل التجاري. أما الاجتلاب فيحدث عندما ينمو وعي أمة ما تهيأت لها ظروف اليقظة الفكرية فتطلعت إلى البلاد الأخرى تنقل عنها علومها وفنونها وأسباب نهضتها المختلفة. وإذا تطرقنا إلى الأثر المتبادل في النواحي الثقافية المختلفة وضروب الإنتاج العقلي، نجد أن الدارسين في ميدان العلوم، نظرية أو علمية، قد أتيج لهم في جميع العصور أن يتواصلوا تواملا فعليا وأتاحوا للمؤثرات العلمية ورسالة العلوم بأن تخترق الحدود والأقطار دون نشأة صعوبة جدية تعوق ترجمة المؤلفات العلمية ونقلها من لغة إلى أخرى. أما نقل الآثار الأدبية فتكتنفها صعوبات كثيرة في الترجمة من لسان إلى لسان. وهكذا نجد تعاوننا في المجال العلمي في جميع أنحاء العالم، فالعلم لا وطن له، أما الثقافة فلها وطن⁽³¹⁾.

يتبوأ الأدب باعتباره شكلا من أشكال الفنون مكانة بارزة في المشهد الثقافي، إلا أن التعرف على الآثار الأدبية خاصة روائع الأدب التي أدركت العالمية، فهمها أو تذوقها لا يصبح ممكنا إلا إذا مرت بعملية الترجمة. ولو سلمنا جدلا بأن الترجمة بعيدة عن أن تكون الوسيلة الناجعة لنقل الآثار الأدبية نقلا سليما، فإنها بالرغم من ذلك تكاد أن تكون الوسيلة الوحيدة لتوصيل الآثار إلى أذهان الناس في مختلف أنحاء العالم وتُعرفهم بها. فلا يمكن أن يختلف اثنان في القول بأن الترجمة هي بوابة مفتوحة للآخر تمكنه من التعرف على مختلف الشعوب ومميزاتهم، فعدت أحسن سبيل للاتصال بتلك الثقافات. فكل الصور والأفكار الثابتة التي رسمت عن الشعوب نجدها قد توافدت إلينا بفعل ترجمة آثارها الأدبية، أما وسائل الإعلام فتأتي بمثابة عناصر مكملة لتلك النظرة دون أن ننسى الدور الذي تلعبه الترجمة في وهب تلك الآثار حياة جديدة⁽³²⁾.

في ضوء ما سبق، أصبح مصطلح "قابلية الترجمة" المفهوم الرئيسي لتلاقي الثقافات وتفاعلها والتبادل بينها. وعدت الترجمة الأدبية وسيلة لمد جسور الحوار بين الثقافات، وآلية للانفتاح على قضايا الهوية والعلاقة مع الآخر، وأداة يتحقق بفعلها التواصل الثقافي، الإبداعي والأدبي، وترتسم بموجبها صور الشعوب. وهو الشيء الذي من شأنه أن يساهم في إرساء مبدأ الاحترام وإحلال السلام بينها. يقول ستاننشفيف Stancev:

The literature of a people reflects their way of life, their vision of the world and their cultural values. This highlights, as just pointed out, the importance and nobility of the translator's task of bringing different peoples together via a mutual knowledge and understanding of their literatures, thus opening new paths towards mutual respect and peace⁽³³⁾.

ومفاد قوله أن أدب الشعوب يعكس طريقتهم في الحياة ونظرتهم إلى العالم وقيمهم الثقافية. ومن شأن ذلك أن يسلط الضوء على أهمية ونبل مهمة المترجم التي ترمي إلى فتح سبل للتقارب بين مختلف الشعوب والتعارف والتبادل بينها وفهم آدابها، سبل جديدة تؤدي إلى الاحترام المتبادل والسلام.

كثيرا ما اقترن تعريف الترجمة بالنقل بين اللغات، إلا أن الأمر لا يقتصر على النقل فحسب بل تجاوزه إلى التواصل بين مختلف الثقافات والتعارف ليس بمقتضى وجهة نظر الثقافة التي ننتمي إليها، بل بخصائص الثقافة الأخرى. كما تهدف الترجمة إلى الانفتاح الذي تطفو على إثره المميزات الخاصة بكل ثقافة كي تسمح لنا بمعاينة اختلافها، وبهذا الشكل يتسنى لنا التمييز بينها بفضل نسبة غريبة بعضها عن بعض. لكن كثيرا ما تنكرت بعض الثقافات لثقافة الآخر وعملت على إدماج أو تملك خصائصها لإبعاد كل ما هو إيجابي، أو كل ما يجب مقاومته أو إزالته لسبب أو لآخر. ومنه، يتحدد الهدف من العلاقة بين الثقافات. ثم إن الأهداف المرجوة ترسم مسارا للترجمة: إما أن تتم عملية ترجمة الثقافة بمقتضى تعابيرها الخاصة إلى ثقافة أخرى، أو أنها تحاول أن تُعرف بنفسها في الثقافة الأخرى بمقتضى الخصائص اللغوية للثقافة المستقبلية. فإذا انطبق الأمر على الحالة الثانية، نكون قد رسمنا حدودا للترجمة خاصة الأدبية إذا اعتبرنا أنه لا يمكن فهم مميزات الثقافات الأخرى إلا إذا كُفِّت مع ما يتماشى ومرجعيات الثقافة المستقبلية، فتخضع لعملية التغيير والتشويه بغية ملاءمتها. في حين، تضطلع الترجمة بمهمة الحوار بين الثقافات وتبادل الأفكار ونشر المعرفة، فهناك ترجمات تحمي كل اختلاف ثقافي وأخرى تُضخم فيه، وهناك ترجمات تنجح في الحفاظ على هذا الاختلاف وتحترمه، فيُصبح بهذا الشكل من الضروري التقريب بين أنماط الترجمات قبل استعمالها في المقارنة⁽³⁴⁾.

والحقيقة أن الثقافات لا تكتسب خصائصها بالانعزال، بل باحتكاك بعضها ببعض في مساحة بينية حتى وإن كانت لا تعكس بدقة مميزات كل منها، لكنها تسمح على الأقل لكل واحدة أن تعكس نفسها في الثقافة الأخرى، ولا يتجسد ذلك فعليا إلا بتقوية الوعي بضرورة تلاقي الثقافات أين ترى كل ثقافة نفسها تنعكس في مرآة ثقافة أخرى تلقى بها. وفي هذا السبيل، تفتح الأبواب لمفهوم "الغيرية - Altérité" الذي يعد مفهوما جوهريا في المبحث الثقافي، ويبقى عبارة عن فرضية مجردة لا تصبح ملموسة إلا إذا تجسدت على أرض الواقع. وتتحدد مختلف المظاهر التي تأخذها "الغيرية" في الترجمة وفقا للأسلوب الترجمي الذي نختاره، فهي تأخذ أشكالا متميزة لا يمكن إدراكها إلى حين تمظهرها فعليا في الممارسة، فترجمة "الأخر" تعني أن تأخذ "الغيرية" حقها دون إخضاعها للفرضيات المسبقة⁽³⁵⁾.

خاتمة

لقد تبين أن للنص الأدبي مميزات نصية وخصائص يستلزمها هذا النوع من الترجمة، خاصة إذا أدركنا أن اللغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات وثقافة وتاريخ المجتمعات وأنها الوعاء الذي يحويها ويحفظ مميزات وأهوية العنصر المحدد لهويتها. وضمن هذا الطرح، ظلت رهانات التناقص في قلب التفكير الذي يصاحب حاليا الممارسات الترجمية التي يفرضها كل انتقال لغوي بين نصوص تم إنتاجها ضمن سياقين ثقافيين مختلفين، وتطرح إشكالية ثقافية لارتباط هذه الممارسة بعلاقة بعض الآداب ببعضها الآخر وبالأيديولوجية أي بالسياسة التي لا تقتصر على الأمن القومي أو الاقتصادي فحسب، بل بسياسة ثقافية وسياسة في الأدب والترجمة. وبأخذنا الحديث في سياق سياسة الترجمة، إلى الإشارة لتلك العوامل التي تحكم اختيار أنواع النصوص، ليتم نقلها من خلال الترجمة إلى لغة/ثقافة معينة في زمن معين. ويمكننا القول بوجود هذه السياسة بقدر ما كان الاختيار

موجها ومدروسا⁽³⁶⁾. وتتجسد هذه الممارسات عبر استراتيجيات تتباين بتباين المنهجية أو النظرية التي تملئها الرهانات على المترجم ويظهر إثرها موقفه من الترجمة. أما من الجانب العملي، فيبرز الإشكال المتعلق بالبعد الثقافي خلال العملية الترجمية في كيفية نقل الخصائص الثقافية إلى النص المترجم من حيث انصهارها في الثقافة المستقبلية أو تمسكها بالأصل. فلم يثبت المنظرون في ميدان الترجمة على رأي واحد، وانقسموا إلى فريقين منهم من يعطي الأولوية للنص الهدف بمميزاته اللغوية والثقافية، ومنهم من يعطي الأولوية للنص الأصل كذلك بمميزاته اللغوية والثقافية.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

- 1- إبراهيم زكي خورشيد. الترجمة ومشكلاتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.
- 2- التونجي محمد: المعجم المفصل في الأدب، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1993.
- 3- إنعام بيوض، الترجمة الأدبية: مشاكل وحلول، دار الفرابي، بيروت، 2003
- 4- جمال محمد جابر. منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، دار الكتاب الجامعي، العين، 2005.
- 5- ديداوي محمد. الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002.
- 6- عناني محمد. الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان 1998.
- 7- كريم زكي حسام الدين: اللغة والثقافة، الطبعة الثانية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
- 8- محمد عوض، فن الترجمة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية 1969

المراجع الأجنبية:

- 1- ALBIR, Amparo Hurtado. La notion de fidélité en traduction, Paris, Didier Erudition, 1990
- 2- BAHAA-EDDIN, Abuelhassan Hassan, Literary Translation: Aspects of Pragmatic Meaning, Cambridge Scholars Publishing, UK, 2011
- 3- BASSNETT, S. Translation Studies, third edition, London and Newyork. Routledge, 2002 .
- 4- HELLAL, Yamina. La théorie de la traduction, Alger, OPU.
- 5- KRAMSCH, Claire, Language and Culture, Oxford University Press, UK, 1998.
- 6- LADMIRAL, Jean-René. Traduire: théorèmes pour la traduction, Paris, Gallimard, 1994.
- 7- Mohamed Alhussini and Hesham Hassan, Translation Science, Art of Translation: Theory and practice, for University Students, Benha University, 2009/2010.
- 8- MOUNIN, Georges. Les problèmes théoriques de la traduction, Paris, Gallimard, 1963.
- 9- MOUNIN, Georges. Linguistique et traduction, Bruxelles, Dessart et Mardaga, 1976.
- 10- NIDA, Eugene and Charles TABER. The Theory and Practice of Translation, Leiden, E.J. Brill, 1969
- 11- RADOUANE, Joëlle, La Traductologie: Science et philosophie de la traduction, Alger, OPU, 1985
- 12- VENUTI, Lawrence, The Translation Studies Reader, Routledge, London, 2000.
- 13- Wolfgang Iser, On Translatability, Surface [en ligne], 1994, vol 4.
- 14- YOWELL, Y. Aziz et Lataiwish Muftah S. Principles of Translation. Benghazi, Libya, Dar Annahda Alarabiya, 1999/2000

المراجع الالكترونية:

- 1- عقيل جاسم دهش، مجلة مركز دراسات الكوفة - جمالية النص الأدبي في أسرار البلاغة - الصورة أنموذجا، العدد السادس والعشرون / 2012 www.uokufa.edu.iq/journals/index.php/ksc/article/view/2039 اطلع عليه بتاريخ 2018/07/16.
- 2- Wolfgang Iser, On Translatability, Surface [en ligne], 1994, vol 4, p 13.

الهوامش:

- 1- التونجي محمد: المعجم المفصل في الأدب، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1993، ص 47.

- 2- عقيل جاسم دهش، مجلة مركز دراسات الكوفة - جمالية النص الأدبي في أسرار البالغة - الصورة أنموذجا، العدد السادس والعشرون / 2012.
- 3- إنعام بيوض، الترجمة الأدبية : مشاكل وحلول، دار الفرابي، بيروت، 2003، ص 34.
- 4- جمال محمد جابر، منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، دار الكتاب الجامعي، العين، 2005، 18-25.
- 5- عناني محمد. الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان. 1998، ص 6.
- 6- LADMIRAL, Jean-René. Traduire: théorèmes pour la traduction, Paris, Gallimard, 1994: 21
- 7- إبراهيم زكي خورشيد. الترجمة ومشكلاتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، 5.
- 8- Mason in BAHAA-EDDIN, Abuelhassan Hassan, Literary Translation: Aspects of Pragmatic Meaninig, Cambridge Scholars Publishing, UK, 2011: 5
- 9- RADOUANE, Joëlle, La Traductologie: Science et philosophie de la traduction, Alger, OPU, 1985: 176
- 10- إ. بيوض، المرجع السابق: 37.
- 11- Landers in BAHAA-EDDIN, Abuelhassan Hassan: op cit: 2-3
- 12- Riffaterre in Bahaa-eddin; ibid : 3
- 13- إنعام بيوض، المرجع السابق: 37.
- 14- إنعام بيوض، المرجع نفسه: 34.
- 15- MOUNIN, Georges. Les problèmes théoriques de la traduction, Paris, Gallimard, 1963: 168
- 16- جوييل رضوان (Joelle Redouane) المرجع السابق: 177.
- 17- HELLAL, Yamina. La théorie de la traduction, Alger, OPU, :10
- 18- محمد عوض، فن الترجمة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية 1969: 29
- 19- Enkvist in BAHAA-EDDIN, Abuelhassan Hassan, op cit: 5
- 20- كريم زكي حسام الدين: اللغة والثقافة، الطبعة الثانية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، 13.
- 21- ديداوي محمد. الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، 271
- 22- KRAMSCH, Claire, Language and Culture, Oxford University Press, UK, 1998.
- 23- كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص 13.
- 24- BASSNETT, S. Translation Studies, third edition, London and Newyork. Routledge, 2002: 21
- 25- Juri Lotman; ibid: 22
- 26- YOWELL, Y. Aziz et Lataiwish Muftah S. Principles of Translation. Benghazi, Libya, Dar Annahda Alarabiya, 1999/2000, 106
- 27- NIDA, Eugene and Charles TABER. The Theory and Practice of Translation, Leiden, E.J. Brill, 1969,4
- 28- ALBIR, Amparo Hurtado. La notion de fidélité en traduction, Paris, Didier Erudition, 1990: 20
- 29- Ladmiral, op cit, 18
- 30- ز خورشيد، المرجع السابق، 3.
- 31- ز خورشيد، المرجع نفسه 26.
- 32- MOUNIN, Georges. Linguistique et traduction, Bruxelles, Dessart et Mardaga, 1976, 154.
- 33- Mohamed Alhussini and Hesham Hassan, Translation Science, Art of Translation: Theory and practice, for University Students, Benha University, 2009/2010: 37)
- 34- MOUNIN, Georges. Linguistique et traduction, Bruxelles, Dessart et Mardaga, 1976, 154
- 35- Wolfgang Iser, On Translatability, Surface [en ligne] , 1994, vol 4, p 13.
- 36- Touiry in VENUTI, Lawrence, The Translation Studies Reader, Routledge, London; 2000: 202